علاقة العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية أو في إمكانية تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية

د.محمد بن سباع [1]

[1] جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)

تاريخ الاستلام 20-09-2018؛ تاريخ المراجعة :21-09-2020 ؛ تاريخ القبول : 30-09-2020

الملخص:

نسعى في هذه الدراسة إلى التعرف على التطور الذي عرفته العلوم الطبيعية بفضل تطبيقها للمنهج التجريبي على الطبيعـــة، حتى أصبحت الدراسة العلمية في هذه العلوم تتميز بالدقة والموضوعية. هذا الوضع الذي وصلت إليه العلوم الطبيعية، جعل بقية العلوم خصوصا منها الإنسانية تسعى إلى بلوغ نفس درجة يقينها، وذلك من خلال محاولة تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية. لقد اختلف العلماء حول إمكانية تفسير الظاهرة الإنسانية بين مُؤَيِّدٍ ومعارض، فالمؤيدون يرون أن يمكن أن نُجرِي عليها التجارب وأن نتنبأ بحدوثها، وبالمقابل فإن المعارضين يُقرُّون بصعوبة دراسة الظاهرة الإنسانية بنفس الطريقة التي تدرس بها الظاهرة الطبيعية، مؤكدين بالتالي على ضرورة وضع مناهج علمية جديدة تتناسب وطبيعة الظاهرة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: علوم طبيعية؛ منهج تجريبي؛ علوم إنسانية؛ دراسة علمية؛ ظاهرة إنسانية.

Abstract:

In this study, we seek to identify the evolution of the natural sciences by applying them to the experimental method on the ground, so that the scientific study in these sciences is characterized by accuracy and objectivity. This situation, which reached the natural sciences, made the rest of science, especially humanity, seeking to achieve the same degree of certainty, by trying to apply the experimental approach to the phenomenon of humanity. Scholars differed about the possibility of interpreting the human phenomenon between supporters and opponents, The supporters believe that it is difficult to study the human phenomenon in the same manner as the natural phenomenon, and therefore stressed the need to develop new scientific curricula suited to the nature of the human phenomenon.

Key Words: Natural Sciences, Experimental method, human sciences, Scientific study, human phenomenon.

Résume :

Dans cette étude, nous cherchons à identifier l'évolution des sciences naturelles à travers leur application de la méthode expérimentale sur le terrain, de sorte que l'étude scientifique dans ces sciences se caractérise par l'exactitude et l'objectivité. Cette situation, qui a atteint les sciences naturelles, a amené le reste de la science, en particulier l'humanité, à rechercher le même degré de certitude en essayant d'appliquer l'approche expérimentale au phénomène humain. Les érudits diffèrent quant à la possibilité d'interpréter le phénomène humain entre partisans et opposants. Les partisans croient que nous pouvons les expérimenter et les prédire, D'autre part, les opposants reconnaissent la difficulté d'étudier le phénomène humain de la même manière que le phénomène des phénomènes naturels, soulignant la nécessité de développer de nouveaux programmes scientifiques adaptés à la nature du phénomène humain.

Mots-clés:l es sciences expérimentales, Méthode expérimentale, sciences humaines, Étude scientifique, Phénomène humain

مقدمة:

كانت العلوم الطبيعية ولا تزال أنموذجا معرفيا ومنهجيا تسعى بقية الفروع المعرفية الأخرى إلى الاستفادة منه؛ وذلك لأنها قطعت أشواطا في مجال المعرفة العلمية التي تتصف بالموضوعية والدقة واليقينية، وإن هذا التطور الكبير الذي وصلت إليه العلوم الطبيعية لكان بفضل جهود الكثير من العلماء ولمدة زمنية طويلة عرفت عقبات كثيرة، ليبقى الأهم هو أن هذا التقدم لم ينعكس فقط عليها بل كذلك على غيرها من الفروع المعرفية الأخرى، خصوصا منها التي لم تظهر إلا حديثا وتحديدا منها العلوم الإنسانية، على اعتبار أن السبب الرئيس في ظهور هاته العلوم هو سعيها إلى الوصول إلى نفس درجة الدقة واليقينية التي وصلت إليها العلوم الطبيعية، من خلال نقل المنهج العلمي والمسمى بالمنهج التجريبي من مجال الظاهرة الطبيعية إلى مجال الظاهرة الإنسانية.

من المسلم به أن هناك تمايزا بين موضوع العلوم الطبيعية وموضوع العلوم الإنسانية، فموضوع العلوم الطبيعية هو الطبيعة، أما موضوع العلوم الإنسانية فهو السلوك الإنساني، وهو تمايز يترتب عنه بالضرورة تمايز في المنهج المتبع في دراسة الموضوع. وبناء عليه، فإن أهم إشكالية مطروحة في مجال العلاقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية هي مشكلة التجريب أي إمكانية دراسة الظاهرة الإنسانية دراسة علمية تجريبية وبالتالي التنبؤ بحدوثها. لقد تصور بعض العلماء في بداية الأمر أن الإمكانية مطروحة، وأنه يمكن التجريب على الظاهرة الإنسانية، وبالتالي الوصول إلى معرفة القوانين التي تتحكم في حدوثها من خلال معرفة العلاقات التي تربط بين الظواهر الإنسانية

لكن، وبالمقابل فقد اعتبر الكثير من العلماء وفلاسفة العلم المعاصرين أنه لا يمكن دراسة الظاهرة الإنسانية بنفس الطريقة التي تدس بها الظاهرة الطبيعية؛ وذلك راجع إلى عدة أسباب أهمها أن خصائص ومميزات الظاهرة الإنسانية لا تسمح بإمكانية ملاحظتها أو إجراء التجارب عليها، وهذا ما فتح الباب أمام محاولات وضع مناهج علمية جديدة ترتقي بمستوى الدراسات الإنسانية إلى العلمية، ولكن دون إنكار أهمية الدراسة التجريبية، لأن هناك فروعا من العلوم الإنسانية عرفت إلى حد ما كيف تستفيد من الدراسة التجريبية وان لم تكن بنفس الكيفية الموجودة في العلوم الطبيعية. وبناء عليه نتساءل:

إلى أي مدى يمكن القول أن العلوم الإنسانية تمكنت من تطبيق المنهج التجريبي على موضوع دراستها؟

أولا: أنموذج الدراسة العلمية في العلوم الطبيعية

إن البحث في الطبيعة قديم قد الفكر الإنساني، إذ نجد له حضورا سواء في الحضارات الشرقية القديمة أو في العصر اليوناني أو في العصور الوسطى، لكن التقدم الحقيقي لهذه العلوم خصوصا منها الفيزياء كان في العصر الحديث مع علماء من أمثال غاليليو Galileo (1564-1642) ونيوتن Newton (1642-1727) خصوصا بعد ظهور ذلك التكامل بين البحث التجريبي ولغة التكميم الرياضية. وهنا لابد لنا أن نؤكد على أهمية الإسهامات التي قدمها العلماء العرب في مجال دراسة الطبيعة وتطوير البحث التجريبي من أمثال البيروني (973-1048م) وجابر بن حيان (721-810م) وابن الهيثم (965-1039م) وغيرهم. إلا أن المتفق عليه بين مؤرخي العلم هو أن: " العلم الطبيعي الحديث قد سار نحو التقدم بمجرد أن وضع كوبرنيكس (1473-1543) فرضية مركزية الشمس وأنجز يوهان كبلر (1571-1630) أساسيات المرحلة الأولى أو إطارها النَّسَقِي؛ وذلك حين وضع قوانين حركة الأجرام السماوية على سطح الأرض، وفي عام 1687 جاء فرض الجاذبية لنيوتن لِيَجمع الحركتين السماوية والأرضية معا، فوضع لأول مرة في تاريخ البشرية نظرية واحدة تحكم كل رأي وحركة تدركها الحواس في الكون"[1]. ولكن الفضل في تقدم الفكر العلمي في العصر الحديث، يرجع إلى تَجلِّي معالم الدراسة التجريبية القائمة على الاستقراء، وحتى ولو أن هذا التصور يرجع إلى بعض المفكرين اليونانيين من أمثال أرسطو Aristote (384ق م-322ق م) إلا أن الفضل في التأكيد على أهمية الاستقراء في دراسة الطبيعة، يرجع إلى فرنسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626) الذي انتقد الاستنباط من جهة وأرسى قواعد الدراسة العلمية القائمة

على التجريب من جهة أخرى، لذلك يعتبره الكثير من العلماء وفلاسفة العلم، على أنه المؤسس الحقيقي للمنهج التجريبي، وهذا ما يؤكده هانز رايشنباخ Hans Reichenbach (1891-1953)في قوله: "يرجع الفضل التاريخي إلى بيكون في تأكيده على أهمية الاستدلال الاستقرائي للعلم التجريبي، فقد اعترف بِقُصُور الاستدلال الاستنباطي، وأكد أن المنطق الاستقرائي لا يمكنه أن يأتينا بالمناهج التي ننتقل بها من الوقائع الملاحظة إلى الحقائق العامة وبالتالي إلى تنبؤات متعلقة بمزيد من الملاحظات"[2].

لقد بلغت الفيزياء الحديثة أرقى درجات التطور حتى أصبحت أنموذجا للعلم الدقيق، وإن الفضل في اكتشاف القوانين العلمية التي زادتنا معرفة بالطبيعة يرجع إلى المنهج العلمي المتبع في دراسة الطبيعة وظواهرها، والمسمى بالمنهج التجريبي، والذي يقول عنه رودلف كارناب Rudolf Carnap (1891-1970) : "من أهم الملامح التي تميز العلم الحديث بالمقارنة بعلم العصور المبكرة، هو تأكيده على ما يمكن أن نطلق عليه اسم المنهج "التجريبي(...)ولقد كان المنهج التجريبي مثمرا إلى أقصى حد، فعن طريقه تم التقدم العظيم في الفيزياء في المائتي سنة الأخيرتين، وبصفة خاصة في العقود القليلة الماضية، وكان من المستحيل أن يتم ذلك دون استخدام المنهج التجريبي"[3]. لقد فهم العلماء وفلاسفة العلم أن تطوير المعرفة العلمية، والوصول إلى أعلى درجات الحكم في الظواهر المدروسة، يقتضي ضرورة الانطلاق من مجال الملاحظة الحسية، هذا ما فهمه بيكون المؤسس الأول لهذا المنهج، وهذا ما فهمه أيضا ممثلا الحداثة العلمية غاليلي ونيوتن، فقد اعتنى الأول بهذا الأسلوب العلمي وطَوَّرَهُ عند حديثه عن التجربة الذهنية، وعرف الثاني بإتباعه لهذه الطريقة إلى حد أن النيوتونية أصبحت أنموذجا للتجريبية في القرن الثامن عشر[4]. لأنا ساهمت بشكل عملي في تجلي معالم المنهج التجريبي والذي يتكون من خطوات ثلاث هي على التوالي: الملاحظة والفرضية والتجربة، وإن كان العلماء يتفقون حول أهمية وضرورة الاعتماد على هذه الخطوات الثلاث كاملة، إلا أن هناك منهم من رأى إمكانية الاستغناء عن الخطوة الثانية، والتي هي الفرضية، بحجة أنها تمثل جانبا عقليا لا تجريبيا، وإذا أردنا أن نُبَيِّنَ طبيعة هذه الخطوات قلنا أن المنهج التجريبي: "يبدأ بالملاحظة المنظمة للظواهر الطبيعية التي يراد بحثها(...)أما الفرضية فهي تفسير علمي يضعه العالم ثم يحاول التحقق منه تجريبيا(...)أما مرحلة التجريب فتوضع الظواهر في ظروف يمكن التحكم فيها، مع تنويعها إذا أمكن ذلك، ومن مجموعة من التجارب يتكون لدينا عدد من القوانين الجزئية التي تبدوا مستقلة عن بعضها البعض، وهي تمهد لنا الطريق للوصول إلى قانون عام"[5].

ينبغي التأكيد هنا على أن هذه الخطوات يجب توفرها على بعض الشروط حتى تؤدي وظيفتها المنهجية في المنهج التجريبي، فبالنسبة إلى الملاحظة، يجب التمييز بين الملاحظة العادية والملاحظة العلمية؛ فالأولى هي ملاحظة سطحية لا تستهدف تفسير الظاهرة وهذا النوع من الملاحظة نجده عند الشخص العادي، أما النوع الثاني من الملاحظة والتي هي الملاحظة العلمية هي التي نجدها عند العالم حيث يكون هدفها معرفة خصائص ومميزات الظاهرة موضوع الدراسة. أما بالنسبة إلى شروطها فمنها ما يتعلق بالظاهرة الملاحَظة، والتي أهمها أن تكون قابلة لأن تُلاحَظَ سواء بالعين المجردة أو باستعمال الوسائل العلمية، ومنها التي تتعلق بالعالم الملاحِظ، والمتمثلة في سلامة عقله وحواسه. أما بالنسبة إلى الفرضية بما هي تفسير علمي مؤقت للظاهرة، فيجب أن تكون بعيدة عن التفسير الميتافيزيقي، وأن تراعي الحقائق العلمية السابقة المُتعارَفِ عليها في المعرفة العلمية الفيزيائية، والأهم من كل هذا، أن تكون قابلة للتجريب. وهنا تأتي التجربة لتأكد صدق أو كذب الفرضية، ويُشتَرَطُ على العالم أن يكرر التجربة عدة مرات، وأن يغير كذلك ظروف إجراء التجارب، فإن أثبتت التجربة صحة الفرضية، اعتبرها بمثابة القانون العلمي الذي يفسر كيفية حدوث الظاهرة المدروسة، وغيرها من الظواهر المشابهة لها، وبالتالي إمكانية التنبؤ بحدوثها في المستقبل.

إن إمكانية التنبؤ لم تعد من مميزات الفكر العلمي المعاصر، وتحديدا في مجال الفيزياء، وذلك نتيجة التحول الكبير الذي حدث في مبادئ العلم، وهو التحول الذي حدث بدوره نتيجة عجز مبادئ وقوانين الفيزياء الحديثة عن تفسير بعض

الظواهر، وهذا ما أوقعها في ما يسمى بأزمة الفيزياء الحديثة، والتي ترتب عنها ظهور الفيزياء المعاصرة بمنهج جديد ونظريات جديدة، مغايرة تماما لما كان سائدا من قبل، فكان التحول من المنهج التجريبي إلى المنهج الفرضي الاستنباطي، وانقسمت الفيزياء إلى الماكرو-فيزياء التي تختص بدراسة الظواهر الكبرى، والميكرو-فيزياء التي تختص بدراسة الظواهر الدقيقة أو غير القابلة للملاحظة بالعين المجردة، أي التي لا يمكن أن ندرسها بواسطة المنهج التجريبي، وإذا أردنا أن نشخص حقيقة الأزمة التي وقعت فيها الفيزياء الحديثة قلنا: "إن اقتراض فيزياء نيوتن وجود مكان مطلق لتفسير حركة الأجسام استنادا إلى هندسة "إقليدس" ذات الأبعاد الثلاثة، بالإضافة إلى وجود زمان مطلق مستقل عن الأجسام، وعجز هذه الافتراضات عن تفسير كثير من الظواهر الطبيعية، كما أن افتراض الأثير كوسط لانتقال الموجات الكهرو-مغناطيسية اصطدم مع كشوف معاصرة، ومن ناحية أخرى عجز افتراض نيوتن عن تفسير الظواهر الضوئية اعتمادا على أن الضوء مؤلف من دقائق مادية، هذا بالإضافة إلى أسباب عديدة أوقعت العلوم الطبيعية في أزمة"[6]. ولقد ترتب عن هذه الأزمة ظهور الفيزياء المعاصرة ممثلة خصوصا في نظرية الكوانتا عند ماكس بلانك Max Planck (1858-1947) ونظريتا النسبية الخاصة والعامة عند ألبرت أنشتاين Albert Einstein (1879-1955)، ومنه لجوء العلماء إلى التخلي عن المنهج التجريبي والاعتماد على منهج علمي جديد، هو المنهج الفرضي الاستنباطي.

لا ينطلق المنهج الفرضي الاستنباطي كما كان عليه الحال في المنهج التجريبي من الملاحظة والتجربة، بل مباشرة من الفرض العلمي، والذي له المعنى نفسه تقريبا في المنهج الاستقرائي الحديث مع التأكيد على ضرورة التعبير الرياضي عند المعاصرين؛ بحيث يأخذ الفرض عندهم شكل معادلة رياضية، وبعد وضع الفرض ينتقل العالم إلى اختبار صدقه ولكن كيف؟

لقد فكر الوضعيون الجدد في هذا الأمر، ولكنهم اختلفوا في الحل؛ إذ هناك ثلاث مدارس متباينة في هذا المجال، أولا مدرسة موريس شليك Moritz Schlick (1883-1936) وتقول بإمكانية الإثبات التجريبي، وثانيا مدرسة أوتو نويراث Otto Neurath (1882-1945) التي تقول بأن التجربة لا تكفي، بل لابد أيضا من الملائمة المنطقية للقضية التي نختارها مع القضايا الأخرى المعروفة، أو مع النتائج النظرية التي يصل إليها العالم في مستويات أخرى، وثالثا هناك كارل بوبر Karl Popper (1902-1994) الذي يرى ضرورة اختبار الفرض عن طريق الاستنباط المنطقي فقط، حيث نصوغ فرضا علميا أولا ثم نستنبط منه النتائج، ثم نقارن هذه النتائج مع بعضها لنكشف علاقات منطقية بينها مثل التكافؤ والاشتقاق، وحين يلجأ العالم حسب بوبر إلى الملاحظة والتجربة يستخدم معيار التكذيب[7].

هكذا، وبناء على ما سبق ذكره فإن العلوم الطبيعية تمكنت من بلوغ أعلى درجات الدقة واليقينية بفضل تطبيقها للمنهج التجريبي على موضوع دراستها والمتمثل في الظاهرة الطبيعية، حتى أصبح العلماء قادرين على التنبؤ بحدوث الظواهر في المستقبل، وهو تطور جعل بقية العلوم تحذو حذو العلوم الطبيعية سعيا منها إلى بلوغ معرفة علمية على غرار المعرفة في مجال العلوم الطبيعية، ومن أهم العلوم التي سعت إلى تحقيق هذا الهدف العلوم الإنسانية.

ثانيا: مفهوم العلوم الإنسانية

إن الحديث عن مجموعة من العلوم في إطار تسمية واحدة، يدل على أن بين هذه العلوم صفات مُشتركة كثيرة، سواء ما تعلق منها بالموضوع أو بالمنهج المستخدم في دراسة هذا الموضوع. إن هذه الميزة هي ما توصف بها العلوم الإنسانية، وإن إلحاق صفة "الإنسانية" بهذه العلوم يجعلها في الوقت ذاته تتميز عن غيرها من العلوم والفروع المعرفية الأخرى، خصوصا منها العلوم الطبيعية، على الرغم من أن ظهور العلوم الإنسانية كان نتيجة التطور الحاصل في ميدان دراسة الظاهرة الطبيعية، وهذا ما يؤكده ألان ريكمان Alan Rickman (1946-2016) في قوله: "كان لابد أن ينتج عن التطور الذي لَحِقَ بميدان العلوم الطبيعية، تأملاً جديداً لِأُسُسِ الدراسات الإنسانية. والواقع أن دراسة الإنسان قديمة قِدَمَ دراسة الطبيعة، وفي خلال العصور الوسطى وعصر النهضة، تَشَعَّبَت الدراسات الإنسانية إلى اتجاهات متباينة، وفي ما بين عامي 1750 و1850 على وجه التحديد، حدثت الثورة العلمية"[8]. وهي الثورة التي تَرَتَّبَ عنها استقلال الدراسات

الإنسانية عن الطرح الفلسفي الميتافيزيقي، وحاولت أن تَنأى بنفسها إلى ما هو وضعي، على غِرَارِ ما تمتاز بـه الدراسة العلمية في العلوم الطبيعية، فظهرت ما يسمى بالعلوم الإنسانية، والتي أهمها علم التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والأنتروبولوجيا، و غيرها من العلوم الأخرى.

لم يكن ظهور العلوم الإنسانية سهلا بل جاء بعد مخاض عسير، لأنه ظهور رافقته الكثير من الصعوبات والإشكاليات سواء المعرفية منها أو المنهجية، والتي يمكن أن نذكر أهمها: هل يمكن أن ترقى العلوم الإنسانية إلى درجة العلمية التي تُمَيِّزُ العلوم الطبيعية؟ إلى أي حد يمكن دراسة الظاهرة الإنسانية بنفس الطريقة التي تدرس بها الظاهرة الطبيعية؟ هل يمكن التنبؤ بحدوث الظاهرة الإنسانية؟ وغيرها من التساؤلات الأخرى. ولكن قبل التَّعَمُّق في دراسة جوانب هذه التساؤلات، ينبغي علينا التعمق أكثر في دلالة مصطلح العلوم الإنسانية؛ لأن هناك الكثير من التعريفات للعلوم الإنسانية، التي لا تدل دلالة حقيقية ومباشرة على معناها؛ فيمكن مثلا تعريف العلوم الإنسانية، بأنها: "تلك التي تُدرِكُ العالم بأنه ينطوي على معاني، وكيف تتكون معرفتها بتلك المعاني، وهذا يعني بأن العلوم الإنسانية تحاول النفاذ إلى الأفكار والمشاعر والمقاصد التي تقف وراء الواقع والتعبيرات المختلفة وإدراكها إدراكا كيفيا"[9]. يبين لنا هذا التعرف أن موضوع العلوم الإنسانية يختلف عن موضوعات العلوم الأخرى، كالعلوم الطبيعية والعلوم الصورية مثلا، فالعلوم الطبيعية تدرس المادة الجامدة التي يمكن للباحث التحكم فيها أثناء دراستها. أما العلوم الصورية خصوصا الرياضيات، فتختص بدراسة الجوانب الكمية، القابلة بدورها للتحديد والقياس، أما العلوم الإنسانية فتختص بدراسة الجانب المعنوي في السلوك الإنساني، وهنا يقول لوسيان غولدمان Lucien Goldman (1913-1970) عن الفرق بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية خصوصا من ناحية موضوع الدراسة: "ليست العلوم التاريخية والإنسانية كالعلوم الفيزيائية والكيميائية، دِراسَةً لِوقائِعَ خارجية عن الناس، وَقائِعُ عالم يتوجه إليه فعلهم، إنها على العكس من ذلك، دراسة لهذا الفعل نفسه ولِبِنيتِهِ، وللتطلعات التي تُحييهِ وللتحولات التي يخضع لها"[10].

هكذا، فقد أُطلِقَ مصطلح "العلوم الإنسانية" على العلوم التي ارتبط موضوعها بواقع الإنسان، أي التي تَتَّخِذُ من أحوال الناس النفسية والسلوكية وتجمعاتهم البشرية ومؤسساتهم الاجتماعية، موضوع بحث، فهي علوم تدرس الواقع الإنساني لغاية فهمه وتفسيره وتحديد ثوابته، وعلى هذا تكون العلوم الإنسانية علوما تدرس فاعليات الإنسان المختلفة الجوانب، وتسعى إلى ضبط طبيعتها وتحديد عناصرها وتَجلِيَة دلالاتها ومقاصدها المختلفة[11]. إن السلوك الصادر عن الإنسان، هو الموضوع الذي تختص العلوم الإنسانية بدراسته، على اعتبار أن الإنسان له شعوره وأفعاله التي تُمَيِّزُهُ لوحده من جهة، لكنه من جهة أخرى يخضع لتأثير الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، أي أن له أفعالاً من جهة وله ردود أفعال كذلك من جهة أخرى، وإن الأبعاد المتنوعة للسلوك الإنساني، هي التي تختص العلوم الإنسانية بكل فروعها، بدراستها. وبين السلوك الإنساني ومحاولة دراسته، يتجلى موضوع العلوم الإنسانية ومنهجها في دراسة هذا الموضوع، لذلك يرى ريكمان أن التعريف الصحيح للعلوم الإنسانية، هو قولنا بأنها: "تدرس بعكس العلوم الطبيعية الأجسام والحركات في المكان والبناءات المختلفة، بقدر ما تجسده من أفكار ومشاعر وأهداف، وتهتم هذه الدراسات بالأفكار والمطامح والسلوك الهادف والإبداع الفني، والأدوات التي يصنعها الإنسان، والقواعد التي يفرضها البشر على أنفسهم، والأنظمة التي يستحدثونها، فتلك كلها ظواهر تجعل للحياة معنى، ولهذا كانت الدراسات الإنسانية، تُعالِجُ وقائع ذات معنى"[12]. وانطلاقا من هذه الخصوصية التي تميز العلوم الإنسانية، دعا الكثير من العلماء والفلاسفة إلى تطوير البحث في هذا المجال، وهذا ما نجده مثلا عند كارل بوبر عندما قال عن العلوم الإنسانية وإمكانية تطويرها مقابل تطور العلوم الطبيعية: "لقد وُجِدَت عهود في العصر القديم، كان يمكن أن يبدوا فيها علم المجتمع متقدما على علم الطبيعة، ولكن بمجيء غاليلي ونيوتن أحرزت العلوم الطبيعية من النجاح ما لم يكن مُرتَقَبًا لها، وتفوقت كثيرا على غيرها من العلوم، ومنذ عهد لويس باستور Louis Pasteur (1822-1895) نظير غاليلي في علم الحياة، أحرزت العلوم البيولوجية، نجاحا يكاد يُعادِلُ ما أحرزته العلوم الطبيعية. ولكن العلوم

الاجتماعية، لا يبدوا الآن أنها وجدت من يُحَقِّقُ لها ما حَقَّقَهُ غاليلو للعلوم الطبيعية"[13]. صحيح أن ظهور العلوم الإنسانية ارتبط بظهور العلوم الطبيعية، إلا أن العلماء المختصين في الدراسات الإنسانية أسهموا كثيرا في تطويرها بحيث لم تعد أقل علمية من العلوم الطبيعية، بالتالي: "حتى ولو أن الحركة العلمية قد بدأت بالفيزياء، وكان برنامج فرنسيس بيكون هو السيطرة على الطبيعة، فإن برنامج اليوم، هو السيطرة على الإنسان نفسه، وإلا كيف نُخضِعُ الطبيعة لسيطرة الإنسان، دون أن نُخضِعَ طبيعته قبلها؟"[14].

تُبَيِّنُ لنا المواقف السابقة، سواء عند كارل بوبر أو ريكمان أو لوسيان غولدمان، أن الاهتمام بالإنسان ليس حديث العهد، وإنما يرجع إلى مراحل مبكرة من تطور الفكر الإنساني، وهو اهتمام وإن لم يُعَبِّر عن نضج منهجي، إلا أنه بَيَّنَ أن الدراسات الإنسانية كانت أسبق ظهورا من الدراسات الطبيعية، وهذا ما بَرَّرَ لإعادة الاهتمام المعرفي والمنهجي بها في المدة الأخيرة، ولكن رغم الموقف الايجابي الذي نجده عند بعض العلماء والفلاسفة من العلوم الإنسانية، إلا أن هناك البعض الآخر من اتخذوا من العلوم الإنسانية موقفا سلبيا، حاولوا من خلاله التقليل من دورها وقيمتها المعرفية والمنهجية، ومن بين أهم هذه المواقف، نجد ميشال فوكو Michel Foucault (1926-1984) الذي قال عنها: "إن أول ما يجب ملاحظته هو أن العلوم الإنسانية، لم ترث حقلا معينا مرسوم المعالم، ومن الممكن أن يكون قد طرق في خطوطه الكبرى، إنما بقي بورا يترتب عليها تطويره استنادا إلى مفاهيم علمية ومنهجية وضعية(...) ولم تكن العلوم الإنسانية لتظهر عندما تَقَرَّرَ تحت تأثير عقلانية مُلِحَّة أو مشكلة علمية، لم تلاق حلا أو لسبب عملي آخر إدخال الإنسان (طوعا أو كرها و بنجاح نسبي) في عداد المواضيع العلمية، التي ربما لم يلبث بعد إطلاقها إمكان إدراجها بيننا، بل ظهرت يوم فرض الإنسان نفسه في الثقافة الغربية، باعتباره، هو ما يجب التفكير به، و هو ما يجب أن يعرف في آن معا"[15].

إن موقف ميشال فوكو من العلوم الإنسانية القائم على نفي إمكانية قيامها كعلوم مستقلة، راجع إلى كونه يمثل أحد أهم المفكرين البنيويين مابعد-حداثيين الرافضين لفكرة الذات أو الإنسان، وهذا ما تُبَيِّنُهُ لنا الأنطولوجيا التاريخية عنده القائمة على أنه لكي نتعرف على الخصائص المعرفية لِمرحلة زمنية معينة، يجب علينا العودة إلى الأرشيف أو الوثائق التي تتحدث عن تلك المرحلة دون نِسبَتِهَا إلى مُؤَلِّفِيها، لأن ما يُعَبِّرُ عن الحقيقة حسب رأيه هو الخطاب لا الذات. إن ميشال فوكو يستخدم جهازا مفاهيميا خاصا جدا، بل ومُعَقَّدًا لا نجده في أي فلسفة أخرى؛ مثل الخطاب والمنطوق والتشكيلة الخطابية والأركيولوجيا، وغيرها من المفاهيم الأخرى. نكتفي هنا بالإشارة إليها ولا يمكننا التفصيل في دلالتها أكثر لأن ذلك سيكون على حساب الموضوع الرئيس لهذه الدراسة، إذ أردنا التطرق إلى موقف ميشال فوكو من العلوم الإنسانية حتى ولو كان موقف سلبيا، لإثراء الموضوع والتوسع في دراسة جوانبه.

ثالثا: مسألة العلمية في العلوم الإنسانية، الأزمة ومظاهرها

1- أزمة العلوم الإنسانية: لقد بدأت الأزمة عندما حاول الوضعيون رَدَّ الروح إلى المادة، وبالتالي إخضاع العلوم الإنسانية إلى منهج علوم المادة، وازدادت الأزمة تعقيدا عندما حاول هؤلاء وغيرهم تحويل الإنسان إلى مجرد عَدَدٍ أو شكل قصد إخضاعه لمنهج الاستنباط. غير أن مجموعة أخرى من الباحثين، رأت أن يتخذ كل علم إنساني منهجا يَخُصُّهُ وحده دون غيره، على أن يكون هذا المنهج استقرائيا أو استنباطيا[16]. لكن الملاحظ على هذه المحاولات وغيرها من المحاولات الأخرى التي سنفصل فيها لاحقا، أنها اكتفت بنقل مناهج بعض العلوم الأخرى خصوصا المنهج التجريبي، ومحاولة إخضاع الظاهرة الإنسانية له، مع العلم أن هناك أمرين مُهِمَّينِ يجب التأكيد عليهما، أولا أن المنهج التجريبي ما وُضِعَ إلا بحسب خصائص ومميزات الظاهرة الطبيعية، التي تطرح أمام العالم إمكانية أن يُلاحِظها وأن يجري عليها التجارب، وهذا ما لا يمكن الحصول عليه ببساطة في مجال دراسة الظاهرة الإنسانية. أما ثانيا –وهذا ما لا يقل أهمية- هو أن الظاهرة الإنسانية لها خصائصها ومميزاتها التي تُمَيِّزُها عن الظواهر الأخرى، فهي معقدة يمتزج فيها ما هو تاريخي بما هو اجتماعي بما هو نفسي مثلا، كما أنها فريدة من نوعها تَحدُثُ مَرَّةً واحدة دون أن يتكرر حدوثها بالطريقة ذاتها، وغيرهما من الخصائص

الأخرى، التي تَحُدُّ من إمكانية تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية. هكذا، بدلا من أن يَتَّجِهَ العلماء إلى وضع منهج يتناسب مع الظاهرة الإنسانية، فإنهم مقابل ذلك شَتَّتُوا جهودهم في محاولات تطبيق مناهج العلوم الأخرى عليها، لذلك يؤكد الكثير من العلماء والابستيمولوجيين المتخصصون في العلوم الإنسانية على ضرورة تجاوز دعوة الوضعيين، والعودة إلى دراسة موضوع العلوم الإنسانية الحقيقي والمتمثل في المعاني والأفكار.

حقيقة، فإن ما يعرف بمشكلات العلوم الإنسانية، يرجع ظهوره تاريخيا إلى التطور الكبير الذي عرفته العلوم الطبيعية، والذي جعل العلماء يتساءلون عن أسباب عدم وصول العلوم الإنسانية إلى اليقين الذي وصلت إليه العلوم الطبيعية. في هذا الصدد تحديدا لابد من ذكر فلهلم دلتاي Wilhelm Dilthey (1833-1911)؛ لأنه من طليعة العلماء والفلاسفة الذي حاولوا الإجابة عن هذا التساؤل، فقد تبين له أن تأخر العلوم الإنسانية يرجع إلى وجود مشكلتين: الأولى أن العلوم الإنسانية لا زال يعوزها تصور واضح ومتفق حوله عن مناهجها وأهدافها. أما الثانية، فهي أن العلوم الطبيعية تزداد تطورا وهذا ما جعلها تَؤخُذُ المكانة الأولى مقابل العلوم الإنسانية[17]. هذه هي إذن أهم معالم أزمة العلوم الإنسانية، وبما أن الابستيمولوجيا تبين لنا أن العلم عندما يقع في أزمة، فإن هذه الأزمة تصيب بالأساس آليته المنتجة للمعرفة، وأيضا بما أن المنهج هو أهم هذه الآليات، فإن أزمة العلوم الإنسانية هي فعلا أزمة منهج، وهذا ما حاول هوسرل مثلا أن يُنَبِّهَنَا إلى أهميته عندما قال: "إن أزمة علم ما، لا تعني سوى أن علميته الحَقَّة أي الكيفية التي حدد بها مهمته وأنشأ بها المنهجية الكفيلة بانجاز هذه المهمة، أصبحت بأكملها موضع سؤال"[18]. فما هي أهم معالم هذه الأزمة؟

2- عوائق دراسة الظاهرة الإنسانية : على الرغم من تنوع واختلاف العوائق والصعوبات التي تواجهها الدراسة العلمية المنهجية للظاهرة الإنسانية، إلا أن العلماء يحصرونها في ما يلي:

أ- موضوع البحث: يوصف الموضوع في العلوم الإنسانية بأنه فريد من نوعه، عكس الظاهرة الطبيعية التي تبقى على الدوام كما هي، والتفرد يحيل إلى التغير والتعقيد والعفوية وغيرها من الصفات أخرى، وذلك يعني أنه بإمكان العالم المُجَرِّب أن يدرس الظاهرة الطبيعية متى شاء، في حين أن هذه الإمكانية غير متوفرة بالنسبة إلى العالم في مجال الدراسات الإنسانية.

إن الصعوبات التي تواجه العلوم الإنسانية لا تنشأ فحسب عن التعقيد الهائل لظواهرها، بل وفي المحل الأول، لأن الأفعال الإنسانية واعية وتصدر عن رؤية وتَدَبُّر، وبالتالي فهي عرضة للتعديل والتبديل على أساس من الفهم والتبصر، فالأفكار والآراء قوة محركة قادرة على تغيير الثقافات وتكشف التنبؤات حدودا لا مَنجَاةَ منها، حيث تدفع معرفة الإنسان للمجرى المتنبأ به للحوادث إلى تبديله، وبالتالي إلى تكذيبه للتنبؤ نفسه[19]. هكذا، فإن الظاهرة الإنسانية في حد ذاتها تَحُدُّ من إمكانية دراستها دراسة علمية تجريبية فهي تأثر في مسار البحث لكونها كيفية غير قابلة للتكميم، وبالتالي فالتفسير الغائي والتحليل الكيفي أهم العوائق أمام العلوم الإنسانية في الدراسة العلمية، خصوصا ما تعلق بصياغة القوانين العلمية.

ب- الباحث: تعتبر الذاتية والقيمة والايديولوجيا، أهم عوائق الدراسة العلمية الموضوعية في العلوم الإنسانية، ففي الذاتية يتقوم موقف الباحث من موضوع دراسته بوصفه فردا وشخصا معينا، بينما يتحدد موقفه من القيمة أو التقويم بوصفه ملتزما بمعايير جماعية ومجتمعية، على حين يتعين موقفه في الايديولوجيا بوصفه متوحدا بجماعته متقمصا لمجتمعه[20]. أما الذاتية، كعائق أمام دراسة الظاهرة الإنسانية دراسة علمية فترتبط بصعوبة الفصل بين الذات والموضوع، فإذا كانت الظاهرة الطبيعية منفصلة عن الباحث التجريبي، فإن الظاهرة الإنسانية مقابل ذلك غير منفصلة عن الباحث، فالمؤرخ قبل أن يدرس حدثا تاريخيا معينا فهو جزء لا يتجزأ منه، مثلما أن عالم الاجتماع هو عضو فَعَّال في مجتمعه. أما القيم التي يحملها الباحث في العلوم الإنسانية فإنها تأثر على الإشكاليات التي يطرحها وكذا النتائج التي يتوصل إليها، وتجعلها تَنأَى عن العلمية والموضوعية. في حين أن تأثير الايديولوجيا، هو الأكثر وضوحا، لأنها تَربِطُ الباحث بكل السياقات سواء السياق التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي، وغيرها، وكلها سياقات تُكَرِّسُ الذاتية وتنتفي معها الموضوعية.

يُبَيِّنُ لنا الاختلاف والتعدد في المواقف والنتائج في العلوم الإنسانية، أنه يرجع إلى إختلافٍ وجهات نظر العلماء ذاتهم، خصوصا من ناحية فَصلِهِم بين ما هو تجريبي وما هو عقلي في دراسة الظاهرة الإنسانية؛ حيث أن لكل موقف حُجَّتُهُ في ذلك، فنجد من زعموا بقيامهم بدراسة تجريبية على المجتمعات الإنسانية قد اضطروا في أحيان كثيرة إلى فصلها عن التحليل العقلي، بحجة أن ذلك التحليل يعتمد على الأحكام القبلية. أما أولئك الذين سعوا إلى إقامة نظرية في المجتمع على أساس من التحليل العقلي لدوافع الأفراد فقد انصرفوا عن بحث مجتمعاتهم في مسارها الواقعي وجوانبها الفعلية بوصفها أمورا لا غناء فيها لانحرافها عن يوتوبياهم المثالية[21].

إن السؤال الذي يطرح هنا، لماذا اتفق العلماء حول الطبيعة ولم يتفقوا حول الإنسان؟ يرجع الفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية إلى انفصال الطبيعة الخارجية عن ما هو إنساني واجتماعي وروحي في العلوم الطبيعية، والعكس تماما بالنسبة إلى العلوم الإنسانية، فإذا كانت نتائج الدراسة في العلوم الطبيعية ترتبط بالموضوع، فإنه مقابل ذلك في العلوم الإنسانية نجد الإنسان يتأثر بمجتمعه مثلا في التعامل مع مستجدات حياته ومشكلاتها دون انتظار نتائج الدراسات الإنسانية والاجتماعية للعمل بها، هذا ناهيك عن مسألة كَون أن نتائج هذه الدراسات قد تُعَبِّرُ عن وجهة نظر الباحث.

رابعا: دراسة الظاهرة الإنسانية بين الاتجاه الطبيعي والاتجاه اللاطبيعي، أو في إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية

يرى الموقف الأول الذي يمثله الاتجاه الوضعي أو الطبيعي، أن هناك إمكانية واسعة لدراسة الظاهرة الإنسانية مثلما تدرس الظاهرة الطبيعية، حيث يمكن أن نُجرِيَ عليها التجارب مثلما يمكننا أن نتنبأ بحدوثها في المستقبل، وهو الموقف الذي يمثله بعض العلماء من أمثال أوغست كونت Auguste Comte (1798-1957) واميل دوركايم Émile Durkheim (1858-1917) وغيرهما. يقول دوركايم ما يلي: "لم يهتم علماء الاجتماع اهتماما كبيرا حتى يومنا هذا بتحديد وتعريف الطريقة التي يستخدمونها في تعريف الظواهر الاجتماعية، وهكذا نجد أن مشكلة الطريقة لا تشغل حيزا في كل ما أنتجه سبنسر، وذلك لأنه لم يكرس كتابه المسمى "المدخل إلى علم الاجتماع" –ذلك الكتاب الذي ربما خدعنا عنوانه- لبيان الطرق التي ينبغي استخدامها في علم الاجتماع، ولكنه قصر على بيان الصعوبات التي تعترض نشأة هذا العلم، والأسباب التي تُيَسِّرُ له الخروج إلى حَيِّزِ الوجود"[22].

لقد تبين لدوركايم، أن الخطأ الذي وقع فيه علماء الاجتماع السابقين، هو عدم اهتمامهم بإرساء قواعد وأسس منهجية علمية سليمة، في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية، وحتى لو كانت هناك محاولات سابقة إلا أنها لم ترق إلى المستوى العلمي، ولم تنفصل عن الطرح الفلسفي الميتافيزيقي، ولأجل تطوير العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية فقد اتجه العلماء إلى الاهتمام أكثر بالجوانب المنهجية، والحق أن أُولى المحاولات ارتبطت بالحديث عن نقل المنهج التجريبي من الدراسات الفيزيقية إلى الدراسات الاجتماعية والإنسانية، ومنه دعوة دوركايم إلى دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء مثل الظواهر الطبيعية، وبالتالي إمكانية دراستها دراسة علمية تجريبية، وهو موقف أُعتُبِرَ في تلك المرحلة ثورة حقيقية في مجال الدراسات الاجتماعية، لكن هذا ما اعترض عليه بعض العلماء.

يؤكد لوسيان غولدمان على أن الاختلاف في الموضوع بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ينبغي أن يترتب عنه أيضا اختلاف في المنهج، حيث يطرح في كتابه "العلوم الإنسانية والفلسفة" قضية الموضوعية في العلوم الإنسانية وفق منظور ابستيمولوجي جد متميز، فبدأ بعرض وجهة نظر العلماء الذين حاولوا دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية دراسة وضعية ثم نقد موقفهم، حيث ركز على موقف إميل دوركايم و هنا يقول: "صحيح أن دوركايم يبدوا مقتنعا أنه يمكن ضمان الموضوعية في البحث، إنه ينتظر من السوسيولوجي أن يدرس الوقائع الاجتماعية "من الخارج" "باعتبارها أشياء"، لكنه لم يتساءل قط فيما إذا كان ذاك ممكنا ابستيمولوجيا"[23]. إن الموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية تختلف عن الموضوعية في العلوم الطبيعية، من ناحية أن عالم الاجتماع مثلا أو عالم النفس، لا يمكن أن يضع نفسه إزاء الظاهرة الإنسانية مثلما يكون الفيزيائي وهو يدرس الظاهرة الطبيعية، وهذا ما جعل كارل بوبر يقول متسائلا :"إنه نتيجة هذه المحاولات، في ميدان العلوم الاجتماعية النظرية عَدَا الاقتصاد، لا تزيد كثيرا عن الخيبة، ولما صار الفشل موضوعا

للمناقشة تساءل الناس من فورهم عن إمكانية تطبيق المناهج الفيزيقية أصلا على العلوم الاجتماعية. تساءلوا: ألا يمكن أن يكون الإصرار العنيد على تطبيقها هو السبب فيما ظلت عليه هذه العلوم من حالة تدعوا إلى الأسف الشديد؟"[24].

يرى أنصار الاتجاه اللاطبيعي من أمثال دلتاي وجون بياجيه وريكمان وغيرهم، أن الظاهرة الإنسانية لها خصائص ومميزات تجعلها تختلف من جهة عن الظاهرة الطبيعية، وأن دراستها وفق الطريقة التجريبية أمر غير ممكن التحقيق، وذلك راجع إلى عدة أسباب أهمها صعوبة الفصل بيم ما هو ذاتي وما هو موضوعي في الدراسات الإنسانية. يقول ريكمان مُبَيِّنًا موقف من الاتجاه الوضعي أو الطبيعي: "إني أعارض المذهب الوضعي، لأن هذا المذهب يَحِيدُ عن العدالة في موضوعنا مثار النظر، و أيًّا ما كان من قبولنا لفكرة وحدة العلوم ولفكرة استفادة الدراسات الإنسانية من العلوم الطبيعية، فإن موضوع كلا منهما يفرض تغيرا حاسما في منهجيهما. ولقد ظهر هذا الرأي المتعلق بتميز الدراسات الإنسانية عن العلوم الطبيعية خلال الجدل والمناقشات التي دارت في القرن التاسع عشر وهو الرأي الذي سندافع عنه"[25]. وهو الرأي الذي دافع عنه دلتاي من قبل عندما أكد على أن العلوم الإنسانية لها خصوصياتها ومميزاتها التي تجعلها تختلف عن العلوم الأخرى، وهذا ما يُحَتِّمُ علينا أن نضع لها منهجا يتناسب مع هذه الخصوصية، فإذا كانت العلوم الطبيعة تعتمد على التفسير، فإن العلوم الإنسانية يجب أن تعتمد على الفهم، وهو الموقف الذي أثر كثيرا على بعض الفلسفات المعاصرة، خصوصا منها الفلسفات الفينومينولوجية والفلسفات التأويلية.

لقد ظهرت الفلسفة الفينومينولوجية مع ادموند هوسرل مُحاوِلَةً تشخيص أزمة العلوم الأوروبية خصوصا منها العلوم الإنسانية، فبيت أن العلوم الإنسانية ينبغي أن ينظر إليها في إطار الاختلاف الموجود بين المعرفة في العلوم الإنسانية والمعرفة في العلوم الطبيعية، وهذا ما تؤكد عليه الفلسفة التأويلية أيضا ومنه قول غادمير: "إن العلوم الإنسانية بتطويرها لمناهجها التاريخية-النقدية تستثمر في لفت انتباهها لأنموذج العلوم الطبيعية، لكن ينبغي طرح مسألة فيما إذا كان هذا الأمر له دلالة البحث عن منهج مستقل خاص بالعلوم الإنسانية. بالقياس إلى منهج العلوم الطبيعية والذي يظل ثابتا في جميع ميادين تطبيقاتها. لماذا لا تبدوا الفكرة الديكارتية حول المنهج غير ملائمة في العلوم الإنسانية؟ ولما لا يصح المفهوم العريق للمنهج عند الإغريق هو الذي يملك حق الاستشهاد؟"[26]. إن غادمير يقر أن الموضوع في مجال العلوم الإنسانية هو الذي يحدد طبيعة المنهج، بالتالي فان الظاهرة الإنسانية تفهم ولا التفسير. لذلك يرى الكثير من العلماء والفلاسفة أن الفهم هو الأنسب لدراسة موضوع العلوم الإنسانية، فما هو الفهم؟ إن الفهم ليس منهجا، وإنما هو لُبَابُ المنهج الكيفي، وهو عملية لا غِنَى عنها في العلوم الإنسانية، بل هو يطبع هذه العلوم بطابعه[27]. كما يعرف الفهم بأنه العملية المعرفية المتميزة التي تستهدف استيعاب المحتويات العقلية الكامنة في كل تعبير[28].

تعتبر المدرسة الألمانية، خصوصا مع دلتاي و غادمير وريكمان، و غيرهم، أهم المدارس التي أكدت على ضرورة الاعتماد على الفهم في الدراسات الإنسانية، مقابل مناهج العلوم الأخرى، خصوصا العلوم الطبيعية والعلوم الصورية. يقول غادمير Hans-Georg Gadamer (1900-2002) متحدثا عن مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية: "استُلهِمَ منهج العلوم الإنسانية عن هردر Herder (1744-1803) ، وعن النزعة الرومنسية في ألمانيا، ولكنه انتشر في كل الأنحاء، و يمارس تأثيرا على التقدم العلمي. بالخضوع إلى هذا المنهج، فإن الحياة الحديثة ترفض متابعة التراث بصورة ساذجة، أو الاستسلام إلى حقائق عريقة متفق عليها(...)لم يعد الوعي التاريخي ينصت للصوت الذي يأتيه من الماضي ولكن، بتفكيره حول هذا الصوت، يُعِيدُ وضعه في السياق الذي تجذر فيه لمعرفة الدلالة والقيمة النسبية التي يكتسبها. هذا السلوك الفكري إزاء التراث يسمى تأويلا"[29]. يبين لنا غادمير أن التأويل هو الأنسب لدراسة العلوم الإنسانية؛ وذلك لأن العلوم الإنسانية هي بالأساس علوم تاريخية، موضوعها الرئيس هو التراث، فالعلوم الإنسانية علوم المعاني والدلالات، وهذه المعاني والدلالات لا يمكن إلا أن نُؤَوِّلَهَا فنفهمها. هكذا، لم يعد التأويل مع غادمير وسيلة نلجأ إليها لِفَكِّ طلاسم بعض النصوص وتجاوز

غموض مصطلحاتها كما نجد عند بعض المتفلسفة السابقين، وإنما يصبح التأويل مع غادمير مفهوما واسعا له بعد عالمي، كما أنه لم يعد يُطبَّقُ فقط على النصوص وإنما على كل ما يصلنا عبر قناة التراث.

تَبَيَّنَ لنا من قبل أن الفرق الجوهري بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية هو بالأساس فرق في الموضوع، إذ تدرس الأولى الظاهرة الطبيعية، في حين تدرس الثانية الظاهرة الإنسانية، وإن هذا الاختلاف في الموضوع تَرَتَّبَ عنه اختلاف في المنهج، وهذا ما يؤكد عليه أنصار الاتجاه اللاطبيعي، الذين يرفضون تماما إمكانية دراسة الظاهرة الإنسانية دراسة تجريبية، وهذا ما أكد عليه ريكمان، إذ يقول حول إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية: "إن مهمة الدراسات الإنسانية، مختلفة عن مهمة الدراسات الطبيعية، فالأخيرة تهتم بصياغة بناءات فرضية تتعلق بتتابع و ارتباط الأحداث، وتعالج الدراسات الإنسانية عالما ينطوي على معنى بالنسبة للفعالية، وهي تُعَمِّقُ فهمنا بالنسبة لمختلف أنواع التعبير، إنها تجعل فهمنا أكثر عمقا وتنظيما، كما تمكننا من الوقوف على المعاني الكامنة في حياة الناس"[30]. و عليه، فإذا كانت العلوم الطبيعية قائمة على التفسير من خلال وضع ضوابط منهجية مسبقة، ينبغي على العالم المجرب أن يسير عليها لكي يستطيع معرفة القانون العلمي الذي يفسر كيفية حدوث الظاهرة المدروسة وغيرها من الظواهر المشابهة لها، و بالتالي التنبؤ بحدوثها، فإن العلوم الإنسانية قائمة على الفهم الذي لا يُعَدُّ رؤية منهجية مسبقة، وإنما هو مرتبط بطبيعة الظاهرة الإنسانية.

خامسا: إمكانية الدراسة العلمية للظاهرة الإنسانية، هل استفادت العلوم الإنسانية فعلا من العلوم الطبيعية؟

بعد أن انفصلت العلوم الإنسانية عن الفلسفة، نتيجة تأثرها بالتطور الحاصل في ميدان العلوم الطبيعية، أخذت تُطَوِّرُ مناهجها ساعية لبلوغ درجة العلمية والدقة واليقين، على الرغم من اعتراف الكثير من العلماء والفلاسفة بصعوبة تحقيق هذا الهدف؛ إذ لا يُنكِرُ لوفي ستروس Claude Lévi-Strauss (1908-2009) مثلا أهمية التطور الكبير الذي عرفته العلوم التجريبية التي تَمَكَّنَت بفضل المنهج التجريبي من دراسة موضوعها دراسة علمية دقيقة، حيث أن أهم ما يميزها هو انفصال الملاحظة عن الظاهرة، أي انتفاء إمكانية تأثير ذاتية الباحث عليها، في حين نجد أن هذا الأمر صعب التحقيق في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. لكن، رغم هذه الصعوبات والعوائق التي تحد من إمكانية دراسة الظاهرة الإنسانية دراسة علمية موضوعية، إلا أن هناك علوما تُعتَبَرُ مجالا خصبا لاستثمار المنهج العلمي فيها، حيث يمكننا هنا أن نعرض بعض التجارب الناجحة للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية في تخطي رهانات العلمنة والتكميم، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة وغيرها من العلوم الأخرى.

لقد استمد علم النفس الحديث خصائص العلم من انتهاجه المنهج العلمي، وإذا كان الجدل يثار حول إمكانية القياس الكمي لأمر معنوي، فقد تغلب علم النفس على هذه المعضلة بأن ترك مفاهيمه وتصوراته المعنوية أو المجردة ودرس آثارها ونتائجها وعلاماتها كما تظهر في سلوك الإنسان، بحيث تَمَكَّنَ علم النفس من دراسة "الذكاء" مثلا من خلال ملاحظة مظاهر السلوك الذكي[31]. إن تطور علم النفس وتحوله إلى الدراسة العلمية ترتب عنه ظهور فروع كثيرة أهمها علم النفس الفيزيولوجي وعلم النفس التربوي وعلم النفس النمو، وغيرها من الفروع الأخرى، حيث استخدم فيها علماء النفس بعض المناهج العلمية معتمدين على الملاحظة والتجربة، وبالتالي الوصول إلى قوانين علمية: "أما الملاحظة العلمية فيقوم بها علماء النفس للتعرف على سلوك البشر والحيوانات، وتعد الملاحظة وسيلة تجميع البيانات الأولية التي قد يستخدمونها في التعرف على علاقات السبب والأثر. أما التجريب فيساعد الباحث بعد تحكمه في متغيرات الدراسة على الوصول الأكثر ثقة في علاقات السبب والأثر والتعميمات، خصوصا باستخدام المجموعات الضابطة، أما دراسة الحالة المعمقة فتتناول سيرة الماضي والحاضر، وإدراك أسباب مشكلة المريض. أما المسح كمنهج فيتضمن أساليب تجميع البيانات كالاستبيان والملاحظة والمقابلة، وذلك لدراسة ميول الناس وأنشطتهم، وأخيرا فهناك اختبارات يجريها علماء النفس تسمى الاختبارات الاسقاطية للتعرف على مشاعر الشخص الداخلية الحقيقية"[32].إن هذه المحاولات وغيرها، مكنت علماء النفس من الوصول إلى نتائج كثيرة أعطت علم النفس صبغة علمية، جعلت الكثير من المتخصصين في الدراسات الإنسانية يعتبرونه من أهم العلوم الإنسانية التي خطت خطوات كبيرة في مجال الدراسة العلمية.

أما في علم الاجتماع، فقد قدم العلماء إسهامات كثيرة عبرت عن سعيهم لدراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة علمية، وما إسهامات أوغست كونت واميل دوركايم وغيرهما من العلماء إلا دليل على ذلك، حيث يعتبر أوغست كونت (1798-1857) أبرز من وضع الأسس المنهجية لهذا العلم من خلال دعوته إلى الابتعاد عن طرح الأسئلة الميتافيزيقية والتوجه إلى دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وضعية بناءا على الملاحظة والتجربة: "وذلك لمعرفة ما تخضع له من قوانين، ولفهم الظواهر الاجتماعية على الطريقة الوضعية، لابد من توافر شرطين:

- أن تكون الظواهر خاضعة لقوانين عامة، ولا تسير حسب الأهواء والمصادفات، وقد رأى كونت أن هذا الشرط متوافر تماما في الظواهر الاجتماعية؛ لأنها جزء من ظواهر الحياة، وجميع ظواهر الكون يسير وفق قوانين لا وفق الأهواء والمصادفات.
- معرفة الناس لهذه القوانين، وذلك لن يكون إلا بقيام الباحثين بالكشف عنها وتعريف الناس بها، فالظاهرات الاجتماعية عند كونت خاضعة لقوانين طبيعية لا تتغير، ومهمتنا هي السعي نحو كشف هذه القوانين بدقة بغية اختصارها في أقل عدد ممكن"[33]. وكان الهدف الرئيس الذي سعى إليه أوغست كونت هو اكتشاف الانتظام والعلاقات الثابتة القائمة بين الظواهر الاجتماعية، إيمانا منه بأن وحدة المنهج وصرامته تؤدي إلى وحدة المعرفة العلمية. ولما جاء ايميل دوركايم واصل ما كان قد بدأه أوغست كونت، حيث أولى مسألة المنهج أهمية كبيرة من أجل تحقيق هدف دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة علمية، فكان أهم ما أكد عليه هو أن الظاهرة الاجتماعية تشبه كثيرا الظاهرة الطبيعية؛ وذلك بالنظر إلى ما تمتاز به من خصائص أهمها أنها ظاهرة قهرية تفرض نفسها على الفرد، كما أنها إلزامية وموضوعية لأن لها وجودا مستقلا. كما حدد ايميل دوركايم الخطوات التي صاغها في شكل قواعد خاصة بتفسير الظواهر الاجتماعية، وحصرها في ما يلي:
- تبدأ خطوات البحث بنقد الآراء السابقة حول الظاهرة والتحرر منها.
- البحث عن نشأة الظاهرة الاجتماعية وعناصرها.
- الاستناد إلى منطق المقارنة في دراسة الظاهرة الاجتماعية؛ إذ أن البرهنة على أن ظاهرة اجتماعية سبب في وجود ظاهرة أخرى تعتمد على المقارنة بين الحالات التي توجد بها كلتا هاتين الظاهرتين.
- الكشف عن القوانين التي يصل إليها الباحث وصياغتها بدقة.[34] وهي الخطوات التي طبقها على الكثير من الظواهر الاجتماعية مثل ظاهرة "تقسيم العمل" وظاهرة "الانتحار"، وغيرهما من الظواهر الاجتماعية الأخرى.

وبناءا عليه، يمكن التأكيد هنا على أن علم الاجتماع تمكن إلى حد بعيد على غرار علم النفس من تجاوز بعض العوائق المتعلقة بالدراسة العلمية، وهذا بفضل توجه العلماء إلى تحديد موضوع هذا العلم، والبحث عن الأسباب الحقيقية للظواهر الاجتماعية، وكذا معرفة القوانين التي تتحكم فيها.

هذا بالنسبة إلى علم النفس وعلم الاجتماع، أما فيما يخص علم التاريخ فعلى الرغم من الصعوبات الكبيرة التي أحاطت بإمكانية دراسة الحادثة التاريخية دراسة علمية، إلا أن العلماء سعوا جاهدين إلى وضع جملة من الشروط التي يجب على الباحث والمؤرخ الالتزام بها من أجل الوصول إلى أعلى درجات العلمية في تفسير الحدث التاريخي، وهي شروط تتعلق بالمؤرخ على وجه التحديد: "فمن الصفات الواجب توفرها في المؤرخ أن يكون مُحِبًا للدرس جَلدًا صبورا، فلا تمنعه وُعورة البحث ولا المصاعب ولا العقبات عن مواصلة العمل، ولا تُوقِفُهُ نُدرة المصادر، ولا يَصرفه عن عمله غُموض الوقائع والحقائق التاريخية واختلاطها أو اضطرابها. وينبغي عليه أن يَقضِي الشهور والسنوات وهو يعمل ويرتحل من بلد لآخر(...)وينبغي عليه ألا يَتَسَرَّع أو يقتضب تعجيلا لنيل منفعة؛ لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية"[35].
ليبقى أهم ما يجب أن يتميز به المؤرخ هو التحلي بالموضوعية والابتعاد عن الذاتية.

أما بالنسبة إلى علم اللغة فهو يُعتَبَرُ أحد أهم العلوم الإنسانية التي قطعت أشواطا طويلة نحو الدراسة العلمية الموضوعية وهي فعلا دراسة قائمة على أهم شروط الدراسة العلمية ألا وهي الاستقلالية، لأن علم اللغة استقل بموضوعه

ومنهجه خصوصا في بداية القرن العشرين. وإن أهم الإسهامات التي قدمت في مجال الدراسات اللغوية العلمية المعاصرة تلك التي ترجع إلى اللغوي السويسري فرديناند دو سوسير Ferdinande de Saussure (1857-1913) عندما دعا إلى دراسة اللغة دراسة علمية مستقلة، وهو أول من دعا إلى تطبيق المنهج العلمي الوصفي في دراسة اللغة، حيث يظهر لنا تأثيره واضحا على الكثير من العلماء والمفكرين الذين جاؤوا بعده، ونخص بالذكر منهم كلود لوفي ستروس وأبحاثه في مجال الأنتروبولوجيا الاجتماعية، الذي أخذ عنه فكرة "النظام" أو "البنية"، كما أخذ عنه فكرة أن اللغة أو اللسان يمثل الجانب الاجتماعي من اللغة الإنسانية، وهنا يقول كلود لوفي ستروس: "يبدوا أن شروط الدراسة العلمية متوفرة كلها في علم اللغة، لاسيما في علم اللغة البنيوي عند بحثه من زاوية فونولوجية؛ فاللغة ظاهرة اجتماعية، بل أَوضحُ الظواهر الاجتماعية التي تعرض الخاصيتين الأساسيتين اللتان تُشَكِّلَانِ مادة دراسة علمية، أولا تقع جميع التصرفات اللغوية تقريبا على مستوى الفكر غير الواعي، ثم عندما نتكلم لا ندرك قوانين اللغة النحوية والصرفية، كما لا نملك معرفة واعية عن الوحدات الصوتية التي نستخدمها لتمييز معنى كلامنا(...)تبرز هذه الصياغة فقط على صعيد الفكر العلمي"[36]. وبالفعل، اعتبرت الإسهامات التي قدمها فرديناند دو سوسير في علم الألسنية ثورة في مجالات الدراسات اللغوية المعاصرة، من حيث أنه تجاوزت الكثير من المفاهيم التقليدية من جهة، وأسست لدراسة علمية للغة من جهة أخرى.

إن هذه الإسهامات وغيرها، تثبت أن العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قطعت أشواطا في مجال الدراسة العلمية، متجاوزة بذلك الكثير من العقبات التي كانت مطروحة أمامها، لكن هذا لا يعني أنها بلغت تماما درجة العلمية المطلوبة، إذ أنها لا زالت تواجه عقبات كثيرة أهمها التي تتعلق بالمنهج الكفيل بدراسة الظاهرة الإنسانية دراسة علمية. لقد تعرفنا من قبل على موقف لوسيان غولدمان من الأزمة المنهجية التي وقعت فيها العلوم الإنسانية من خلال تأكيده على أن الاختلاف بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية لا يتوقف عند حدود الموضوع، بل إنه يمتد إلى إحدى أهم وأعقد المسائل الابستيمولوجية إنها مسألة الموضوعية، إذ رأى أن العلماء الساقين لم يساهموا في حلها بل زادوا في تعقيدها، وهنا يقترح غولدمان مجموعة من الخطوات التي ينبغي على العالم إتباعها في الدراسات الإنسانية مُراعِيًا خصوصية الموضوع المدروس من جهة، و متوخيا تحقيق الموضوعية من جهة أخرى، و هي على التوالي:

1- يجب أن يكون واعيا أنه بالإضافة إلى الصعوبات التي تشترك فيها كل العلوم، فإنه يصطدم في العلوم الإنسانية بصعوبات خاصة، تأتي من تأثيرات يجب عليه أولا أن يكتشف كل الأمكنة التي يستطيع أن يشك فيها بها.

2- يجب ألا يتردد في الدخول في صراع مع الأحكام الجاهزة الأكثر تَجَذُّرًا.

3- إن مهمته الأولى يجب أن تكون نقدا صارما، وبالخصوص دائما ومستمرا لنتائجه الخاصة ولِخُطُواتِ فكره الخاص.

4- لكي يفهم ويحاكم كل المواقف، موقفه الخاص وموقف الآخرين، عليه أن يرجعها إلى بنيتها الاجتماعية التحتية وذلك ليتمكن من فهم دلالتها، وفي نفس الوقت إلى الوقائع التي تسعى إلى تفسيرها أو وصفها، وذلك ليتمكن من استخلاص قِسطِ الحقيقة التي تتضمنه"[37].

لقد أدرك غولدمان وغيره من العلماء والمفكرين، أنه لتحقيق الموضوعية في العلوم الإنسانية، يجب تجاوز أهم عائق يحد من تحقيق هذه الإمكانية، إنها الايديولوجيا، فإذا تمكن العالم من تكوين تصور نقدي واضح المعالم حول التصورات والأحكام الجمعية والفردية، فإنه في هذه الحالة يكون إزاء منهجية علمية في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ومعروف أن العلوم الطبيعية تهتم بدراسة الواقع من خلال منهج تفسيري، أما العلوم الإنسانية فهي تدرس المعاني والأفكار التي لا تخضع للتفسير وإنما للفهم.

خاتمة

إن التطور الذي عرفته العلوم الطبيعية في مرحلة معينة وتحديدا في العصر الحديث، لم يتوقف عند حدود تجاوز ما كان معروفا من قبل، وإنما أحدث ثورة في مجال دراسة الطبيعة، حتى اعتقد العلماء آنذاك أنه تم اكتشاف كل القوانين الموجودة في الطبيعة، وهي قوانين أقل ما يقال عنها أنها دقيقة ويقينية، وإن هذه الدقة التي توصلت إليها الفيزياء آنذاك جعلت بقية العلوم الأخرى تسعى إلى أن تحذو حذوها وبلوغ نفس درجة الدقة واليقين في دراسة موضوعاتها خصوصا منها العلوم الإنسانية، حيث أراد بعض العلماء نقل المنهج التجريبي من مجال دراسة الظاهرة الطبيعية إلى دراسة الظاهرة الإنسانية، وهي محاولة بِغَضِّ النظر عن مآلها ونتائجها الايجابية والسلبية التي انعكست على العلوم الإنسانية، إلا أنها جعلت هذه العلوم تستقل نسبيا عن التفكير الميتافيزيقي من جهة، وتسعى إلى التنبؤ بالظاهرة الإنسانية من جهة أخرى.

لقد قوبل مسعى نقل الدراسة التجريبية من الطبيعة إلى السلوك الإنساني بالتأييد من طرف العلماء الذي اعتقدوا أن هناك إمكانية للتجريب على الظاهرة الإنسانية، إلا أن هذا المسعى وبالمقابل واجه الكثير من الاعتراض من قبل علماء آخرين على اعتبار أن موضوع العلوم الإنسانية يختلف تماما عن موضوع العلوم الطبيعية، فإذا كانت العلوم الطبيعية تدرس العالم الخارجي الواقعي المنفصل عن ذواتنا وأفعالنا، حتى ولو كان هذا الواقع في بعض الأحيان موضوعا لهذه الأفعال، فإن العلوم الإنسانية على العكس من ذلك تماما تتجه إلى دراسة الفعل الإنساني بالبحث في معناه، وارتباطه بالذات الإنسانية وكيفية تَحَوُّلِهِ بما هو تعبير عن مجالات الحياة الإنسانية بكل أبعادها. هكذا، فإن الظاهرة الإنسانية كموضوع للعلوم الإنسانية تمتاز بأنها روحية معنوية، أي أنها ليست قابلة للملاحظة المباشرة، كما أنه لا يمكن تكميمها. إن الخصائص التي تميز الظاهرة الإنسانية، والتي من بينها أنها فريدة من نوعها وأنها مُعَقَّدَة، وغيرها من الخصائص الأخرى، تجعل من إمكانية تطبيق مناهج العلوم الأخرى، كالمنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي صعبة التحقيق، فكانت هذه أول وأهم مشكلة واجهت العلوم الإنسانية في مسيرتها العلمية.

لكن، رغم هاته الصعوبات التي يقر بها مؤيدو تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية قبل معارضيه، إلا أنه يمكن التأكيد أن بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية تمكنت من الاستفادة من الدراسة العلمية التجريبية من خلال تطبيقها على موضوع دراستها وهذا ما نجده في علوم مثل علم اللغة وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا وغيرها، كما أن بعض العلماء وفلاسفة العلم أصبحوا يتحدثون عن معنى خاص للدراسة العلمية في مجال العلوم الإنسانية وعن معنى خاص للموضوعية فيها، وذلك في إطار خصائص ومميزات الدراسة الإنسانية. لكن ما ينبغي التأكيد عليه هنا هو أن أغلب الدارسين المختصين في الدراسات الإنسانية أصبحوا اليوم مقتنعين تماما بأن العلوم الإنسانية مختلفة تمام الاختلاف عن العلوم الطبيعية، ليس فقط من ناحية الموضوع وإنما كذلك من ناحية المنهج.

---

[1]- يمنى طريف الخولي، (1990)، مشكلة العلوم الإنسانية، تقنينها وإمكانية حلها، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ص 24،25.

[2]- هانز رايشنباخ، (دت)، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، لبنان: ص 82.

[3]- رودلف كارناب، (دت)،الأسس الفلسفية للفيزياء، القاهرة: دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ص 59.

[4]- عبد القادر بشتة، (1995)، الابستيمولوجيا، مثال الفيزياء النيوتونية، ط1، بيروت: دار الطليعة، ص 15.

[5]- إبراهيم مصطفى ابراهيم، (1999)، منطق الاستقراء "المنطق الحديث"، القاهرة: دار المعارف، ص، ص 180،181.

[6]- محمد محمد قاسم، (1986)، كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ص 102.

[7]- عبد القادر بشتة، (1995)، الابستيمولوجيا، مثال الفيزياء النيوتونية، المرجع السابق، ص 64.

[8]- هـ.ب. ريكمان، (1979)، منهج جديد للدراسات الإنسانية، محاولة فلسفية، ترجمة علي عبد المعطي محمد، ط1، بيروت: مكتبة مكاوي، ص 107.

[9]- يمنى طريف الخولي، (دت)، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، القاهرة: وزارة الثقافة، ص 16.

[10]- لوسيان غولدمان، (1996)،العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة يوسف الأنطكي، بيروت: المجلس الأعلى للثقافة، ص 59.

[11]- طلعت الأخرس وطوني القهوجي، (2014)،مباحث في الابستيمولوجيا، فلسفة العلوم و المعرفة، بيروت: مكتبة الجيل، ص 226.

[12]- هـــ.ب. ريكمان، (1979)، منهج جديد للدراسات الإنسانية، محاولة فلسفية، المرجع السابق، ص 121.

[13]- كارل بوبر، (1959)، عقم المذهب التاريخي، دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، ترجمة عبد الحميد صبرة، القاهرة: دار المعارف 1959، ص 9.

[14]- صلاح قنصوة، (دت)،الموضوعية في العلوم الإنسانية، عرض نقدي لمناهج البحث، القاهرة: دار التنوير للطباعة والنشر، ص 20.

[15]- ميشال فوكو، (1990)، الكلمات و الأشياء، ترجمة مطاع صفدي، بيروت: مركز الإنماء القومي، ص 283.

[16]- يمنى طريف الخولي، (دت)، قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، المرجع السابق، ص 17.

[17]- يمنى طريف الخولي، ،(1990) مشكلة العلوم الإنسانية، تقنينها وإمكانية حلها، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص 48.

[18]- ادموند هوسرل، (2008)، أزمة العلوم الأوروبية والينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة إسماعيل المصدق، ط1، لبنان: المنظمـــة العربيـــة للترجمة، ص 41.

[19]- صلاح قنصوة، (دت)، الموضوعية في العلوم الإنسانية، عرض نقدي لمناهج البحث، القاهرة: دار التنوير للطباعة والنشر، ص 55.

[20]- المرجع نفسه، ص58.

[21]- المرجع نفسه، ص 40.

[22]- إميل دوركايم، (1988)، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ص 47.

[23]- لوسيان غولدمان، (1996)،العلوم الإنسانية والفلسفة، المرجع السابق، ص 61.

[24]- كارل بوبر، (1959)، عقم المذهب التاريخي، دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، ترجمة عبد الحميد صبرة، القاهرة: دار المعارف، ص 9.

[25]- هـــ.ب. ريكمان، (1979)، منهج جديد للدراسات الإنسانية، محاولة فلسفية، المرجع السابق، ص 111.

[26]- هانز غيورغ غادمير، (2006)، فلسفة التأويل، الأصول والمبادئ والأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، ط2، لبنان: المركز الثقافي العربي، ص 152.

[27]- يمنى طريف الخولي، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، المرجع السابق، ص 21.

[28]- المرجع نفسه، ص 22.

[29]- هانز غيورغ غادمير، (2006)، فلسفة التأويل، الأصول والمبادئ والأهداف، المرجع السابق، ص 149.

[30]- هـــ.ب. ريكمان، (1979)، منهج جديد للدراسات الإنسانية، محاولة فلسفية، المرجع السابق، ص 138.

[31] يمنى طريف الخولي، قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج، المرجع السابق، ص 135.

[32] أحمد بدر، (دت)، مقدمة في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، القاهرة: درا قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص 114.

[33] هاشمي بريقل، (2017)، تطبيق المنهج العلمي على الظاهرة الاجتماعية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد35، مركز جيل البحث العلمي، ص 65.

[34] المرجع نفسه، 69.

[35] حسن عثمان، (1964)، منهج البحث التاريخي، القاهرة: دار المعارف، ص 18.

[36] كلود ليفي ستروس، (1977)، الأنتروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص 76.

[37] لوسيان غولدمان، (1996)، العلوم الإنسانية والفلسفة، المرجع السابق، ص ص، 80،79.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

د.محمد بن سباع (2020) علاقة العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية أو في إمكانية تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12(03)/ 2020، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة،(ص.ص.551-564